أولاً: الجهاد الذي نريد، والنصر الذي ننشد

عبر أكثر من خمسين عاماً، كان خط المواجهة في فلسطين يسير عبر طرق متعرجة لا تعرف استقامة على نهج واحد، وكان ذلك بسبب تعدد الرايات واختلاف الشعارات، ومع أن القضية بذلت الأمة لأجلها الكثير؛ فإنها لم تجن إلا أقل القليل، بل كانت تخسر المزيد كلما دخلت معركة جديدة.

وباستثناء فترات محدودة لقطاعات قليلة طبقت مفهوم الجهاد الشرعي الإسلامي في فلسطين؛ فإن الغالب على حروب العرب مع اليهود؛ أنها كانت حروباً مفرغة من غاياتها الإسلامية، ومعطلة من راياتها الإيمانية، وكان هذا سبباً رئيساً في تكرار الهزائم. فالعرب ـ وكما هو معروف ـ لم يتحدثوا يوماً في خطابهم الرسمي عن غايات الجهاد الشرعي في معركتهم، فضلاً عن تطبيقها على أرض الواقع، ولا نذكر أن أحداً من القادة قال إن العرب يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، أو نحو هذا الكلام أو ما يندرج تحته، بل كان المتردد في أدبياتهم، بلا كلال ولا ملل؛ التحدث عن أهداف مجردة من كل بُعد إسلامي من قبيل: «مواجهة الاستعمار، والصهيونية، والإمبريالية»، «تحرير كل شبر من الأرض العربية»، «القضاء على

التحالف بين الصهيونية والرجعية»، «ثورة حتىٰ النصر» . . . إلىٰ آخر تلك الشعارات التي كانت ترفعها أنظمة أو منظمات متهمة في دينها أو مشبوهة في توجهها. ولا نريد هنا أن نكرر الحديث عن تاريخ ماضٍ ما زلنا نعيش حاضره ونخاف من مستقبله؛ مع القوم أنفسهم الذين جنوا علىٰ القضية مرة باسم المعركة القومية، ومرة باسم الثورة الوطنية، ومرة باسم المشاركة في العملية السلمية ومساراتها المنفردة والثنائية والثلاثية، وما تبع ذلك من أوهام الشرق أوسطية، وغير ذلك من البرامج التي أوصلت إلىٰ خفض السقف العربي في الصراع إلىٰ المستوىٰ الذي لا يستطيعون البقاء تحته إلا أن ينبطحوا أرضاً.

أين هذا من غايات الجهاد الشريفة في الإسلام؟! وأين تلك الشعارات الهزيلة من سمو تلك الشعيرة السامية: (الجهاد في سبيل الله) التي وصفها رسول الله ﷺ بأنها: «ذروة سنام الإسلام»[1].

نحمد الله أن بدأت الأمة تفيق من هذا الكابوس، وتبصر طريقها بعد تيه وتخبط طويل؛ بسلوك حركات الجهاد الإسلامي الفلسطيني طريق العودة إلىٰ المسار الصحيح؛ ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن**

(١) أخرجه: أحمد في مسنده، (٣٦ / ٣٤٥) رقم (٢٢٠١٦)، والترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، (٥ / ١١ ـ ١٢) رقم (٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، (٢ / ١٣١٤ ـ ١٣١٥) رقم (٣٩٧٣)، وإسناده صحيح.

﴿يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]. ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ولكننا نصارح إخواننا بكل محبة: بأننا ما زلنا ننتظر الكثير منهم ـ والله يعيننا معهم ـ لكي نزيل آثار العدوان العلماني على قضية بيت المقدس؛ إذ بالغ هذا العدوان في تشويه وجه القضية ومسخها، حتى أفلح في صرف اهتمامات جمهور الأمة عنها لعدة عقود.

لا تزال القضية تحتاج منا إلى الكثير لإعادتها إلى الوجه الإسلامي الصحيح، فما درج العلمانيون على استبعاده بانتظام من الغايات والرايات والمصطلحات الإسلامية في قضية فلسطين؛ لا بد من السير على عكسه في برنامج تطهيري وإحلال تدريجي للبدائل الإسلامية، فهذا دور تجديدي مُلِحّ، لا بد أن يبدأ به المجاهدون والدعاة من أهل فلسطين أولاً حتى تتبعهم الأمة في ذلك؛ وخصوصاً أن الإعلام العالمي بدأ يركز الاهتمام حول طروحاتهم وتصريحاتهم. ونحن نعدّ هذا جزءاً من العملية الدعوية المصاحبة للعملية الجهادية الشاملة التي حباهم الله شرف التصدي لها في المراحل الراهنة والمقبلة.

لكننا ما زلنا للأسف نرى ـ أحياناً ـ بعض رواسب الخطاب العلماني الكريه في طروحات بعض الرموز الإسلامية الفلسطينية وشعاراتهم

وأحاديثهم التي قد لا نجد فارقاً كبيراً بين بعض مفردات خطابها، وخطاب الفصائل العلمانية الفلسطينية التي ما زالت تستعمل المصطلحات العلمانية البالية الباهتة نفسها؛ مثل: «نضالنا الوطني»، «كفاحنا الثوري»، «الشهادة في سبيل الوطن»، «الوحدة بين القوىٰ الوطنية والإسلامية»، «مقدساتنا المسيحية(!) والإسلامية»، «تحرير كامل التراب الوطني»... ونحوها.

نرىٰ أن بقاء هذه الرواسب ذات النكهة العلمانية شيء يؤسف له، ومما يؤسف له أكثر؛ الثناء غير المسوَّغ علىٰ بعض الزعامات العلمانية المعادية للخط الإسلامي، ووصف بعضها بأوصاف التبجيل والتعظيم؛ مثل: «الرمز فلان»، «المناضل فلان».

نقول: إن تعظيم مثل تلك الشخصيات العلمانية الصريحة، وتكرار مثل تلك الشعارات الميتة لم يفلح في جمع الأمة فيما مضىٰ حول قضية فلسطين، ولن يفلح في الحاضر أو المستقبل في إغراء المخلصين في أنحاء العالم الإسلامي بتبني تلك القضية، وإعطائها ما يليق بها في سُلّم الأولويات.

لا نطالب ـ بداهة ـ بالصدام مع الاتجاهات الأخرىٰ غير الإسلامية، وفتح جبهات ومعارك جانبية، ونعلم أن مراد بعض من يرددون تلك العبارات والشعارات هو عدم تفريق الصف الفلسطيني، ولا شك أن وحدة الصف شيء مطلوب ومهم، ولكن السؤال الأهم: علىٰ أي شيء يتوحد الصف؟

إن الجـواب عن هـذا السـؤال قد تكفل الله ـ تعالىٰ ـ بإيضاحـه في القـرآن؛ حيث قـال ـ سبحـانه ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، فالصف المطلوب أن يكون بنياناً مرصوصاً؛ هو الصف الذي يجمع من ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾، فأولئك هم الذين يحبهم الله، ويحب رص الصفوف تحت رايتهم، وهم أولئك العباد الصالحون الذين تجب ملازمتهم، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]. وهؤلاء العباد الذين تربوا علىٰ آيات البقرة وآل عمران، هم ردؤكم الذين يثبتون ـ بعون الله ـ في الملمات، ولهذا لـمَّا حمي الوطيس يوم اليمامة، كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يتنادون ويوصي بعضهم بعضاً، ويقولون: «يا أصحاب سورة البقرة»(١).

لهذا نرىٰ: أن تنقية الخطاب الإسلامي من تلك النزعات والنزغات العلمانية مطلب مهم، لا بوصفها جزءاً من الخطة الإعلامية الإسلامية فقط، ولكن وفق خط تغييري استراتيجي يهدف إلىٰ (أسلمة) القضية شكلاً وجوهراً.. مظهراً ومخبراً.. صورة وحقيقة.

وسوف يعيننا علىٰ ذلك كثيراً؛ تذكر الهدىٰ الإسلامي وثوابته في إقامة شرعة الجهاد، بوصفه أسمىٰ درجات القربىٰ، وذروة سنام الإسلام.

ولعل ذلك يتضح من خلال استعراض نقاط رئيسة متعلقة

(١) البداية والنهاية (٩/ ٤٦٨)، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي.

بالموضوع، مع إيراد الشواهد عليها من نصوص الوحي المعصوم كتاباً وسنة، وهي شواهد أكثرها معلوم، ولكن نريد من خلال التذكير بها إيضاح منظومة الجهاد في الإسلام في سياق واحد مختصر، يتضح بجانبه ويظهر مقارنة به، هزال منظومة القتال في ظل الشعارات العلمانية على اختلاف مسمياتها ومضامينها، تلك التي لم تثمر خلال عقود الصراع إلا الخسار والدمار والهزائم. ونشير هنا إلى أن المراد ليس هو استعراض مسائل خلافية، أو دقائق علمية مما يفتقر إلى الفتوى والنظر، ولكن المراد هو إيراد الثوابت العامة والخطوط العريضة التي يكون بها القتال جهاداً شرعياً يُستنزل به النصر، وتُنال به الشهادة.

١ ـ راية القتال في الإسلام:

تكرر في نصوص الوحي وصف الجهاد في الإسلام بأنه (في سبيل الله)؛ فهذا شعاره ودثاره، وهذا مظهره وجوهره.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [**البقرة**: ١٩٠].

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [**البقرة**: ٢١٨].

﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [**البقرة**: ٢٤٤].

﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ**

اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٤] .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦] ، وقال: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ [النساء: ٨٤] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١] .

﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ١١] .

ولما سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها»، فقال السائل - وهو عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين»، قال: ثم أي؟: قال: «الجهاد في سبيل الله»(١).

ولما سئل ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «مؤمن يجاهد في سبيل الله

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد، باب: فضل الجهاد، (٦ / ٦) رقم (٢٧٨٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: كون الإيمان بالله - تعالى - أفضل الأعمال، (١ / ٩٠) رقم (٨٥).

بنفسه وماله»[١].

فنحن نلحظ في هذه الآيات وتلك الأحاديث ـ وغيرها كثير ـ اقتران القتال والجهاد الشرعي بوصف (في سبيل الله)، فراية الجهاد في الإسلام هي فقط أن يكون في سبيل الله، وأما ما دون ذلك من الرايات فهي رايات عِمِّيَّة جاهلية، لا يُعد الجهاد تحتها شرعياً، ولا يعد المقتول في سبيلها شهيداً، قال رسول الله ﷺ: «من قاتل تحت راية عِمِّيَّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة؛ فقُتل؛ فقِتْلَةٌ جاهلية»[٢].

وحينما كانت هذه المعاني الشرعية الكريمة غائبة، واستبدلت بها الشعارات الدنيوية الدخيلة، هانت القضية على المتصدرين لها، واستسلموا أذلاء لدعوات الترغيب والترهيب، وسقطوا في مستنقعات الخيانة، وباعوا دينهم وأرضهم وحقوقهم بثمن بخس..!

وهذا يجعلنا نذكركم ـ إخواننا في الله ـ بأن المجاهدين في سبيل الله عندما يستسلمون لربهم، ويعتزون بإيمانهم؛ فإنهم يستعلون على أهواء البشر وأحابيلهم، ويستعصون على الترويض، ويبصرون طريقهم بكل وضوح؛ فإمَّا النصر والعزة وإما الشهادة والجنة.

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد، باب: أفضل الناس، (٦/ ٦) رقم (٢٧٨٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الجهاد والرباط، (٣/ ١٥٠٣) رقم (١٨٨٨).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين، (٣/ ١٤٧٦) رقم (١٨٤٨).

٢ ـ متى يعد القتال جهاداً في سبيل الله؟

سُئل الرسول ﷺ عن ذلك، فقد جاءه رجل يسأل: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرىٰ مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل»(١)، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث: «المراد بكلمة الله: دعوة الله إلىٰ الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط»(٢).

إذن؛ مثل هذا الجهاد أو ما يدخل ضمن أصله؛ هو فقط الذي يبنىٰ عليه الأجر، ويقترن به وعد الله بالنصر والشهادة، قال ﷺ: «تضمَّن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي، وإيماناً بي، وتصديقاً برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلىٰ مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة»(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب العلم، باب: من سأل وهو قائم، (١ / ٢٢٢) رقم (١٢٣)، وأخرجه في الجهاد، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (٦ / ٢٧ ـ ٢٨) رقم (٢٨١٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (٣ / ١٥١٣)، رقم (١٩٠٤).

(٢) فتح الباري (٦ / ٢٨).

(٣) أخرجه: البخاري في كتاب الإيمان، باب: الجهاد من الإيمان، (١ / ٩٢) رقم (٣١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، (٣ / ١٤٩٥) رقم (١٨٧٦)، واللفظ لمسلم.

٣ ـ شروط الجهاد الشرعي المقبول:

مثل كل عبادة في الإسلام لا بد في الجهاد لكي يكون شرعياً مقبولاً أن يقوم على الإخلاص والاتباع. ومعنى قيامه على الإخلاص أن يُبتغى به وجه الله، وتصحح فيه النية، وتُنقَّى من الرياء والعُجب والبطر. قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [**الأنفال**: ٤٧].

نستطيع أن نقول: إن أي قتال أو أي خروج لا يكون في سبيل الله بصورة واضحة، فهو ليس إلا قتالاً في سبيل الشيطان، وهذا ليس سبيل المؤمنين، قال ـ تعالى ـ: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [**النساء**: ٧٦].

كما أن الجهاد في سبيل الله يقتضي جعله من أجل الله وحده لا شريك له، لا من أجل الناس، وقد قال النبي ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ثلاثة» وذكر منهم: «رجل استشهد، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل. ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[(١)]، وهذا الحديث يدل

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، (٣/ ١٥١٤) رقم (١٩٠٥) واللفظ له، والترمذي في كتاب الزهد، باب: ما جاء في الرياء والسمعة (٤/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) رقم (٢٣٨٢)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب: من راءى بقراءة القرآن، (٧/ ٢٨٤).

على خطر فقدان الإخلاص في الجهاد مما قد يحبطه، أو يحوله من طاعة موصلة إلى أعلى درجات الجنة إلى معصية يُطرح صاحبها في النار، فمحافظة المجاهد على نيته، وإخلاصها لله ـ عز وجل ـ هي من أعظم جهاد النفس المشروط في الجهاد بالنفس. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨ – ١٩].

ولئن كان الإخلاص لازماً في الصدقة بشق تمرة أو أقل؛ فإنه لازم في بذل النفس كلها في الجهاد في سبيل الله من باب أولى! ولهذا قال رسول الله ﷺ: «بشِّر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»(١).

والاتباع واجب في الجهاد، كما هو واجب في غيره من العبادات لأنه من الشريعة، وقد قال الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ١٩].

(١) أخرجه: أحمد (٣٥/ ١٤٥ـ١٤٨)، رقم (٢١٢٢٠ـ٢١٢٢٤). وصححه المحقق.

وقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، واتباعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ واجب في كل العبادات والقربات، ومنها، بل من أعلاها: الجهاد في سبيل الله، وكلما تمسَّك المجاهدون باتباع هدي النبي ﷺ في الجهاد كانوا أقرب للنصر، وأجدر بنوال أجر الشهادة، وقد كان رسول الله ﷺ يوصي أصحابه بالأخذ عنه في كيفيات العبادة، كالصلاة: «صلوا كما رأيتموني أصلي»(١)، والحج والعمرة: «لتأخذوا مناسككم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»(٢)، وإقامة الحدود: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر؛ جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب؛ جلد مائة والرجم»(٣).

وكذلك شأن الجهاد؛ لا بد فيه من الأخذ عن رسول الله ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ يوصي سراياه عندما يخرجون للجهاد فيقول: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا، ولاتغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً»(٤).

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الأذان، باب: الأذان للمسافرين، (٢/ ١١١)، رقم (٦٣١).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، (٢/ ٩٤٣)، رقم (١٢٩٧).

(٣) أخرجه: مسلم في كتاب الحدود، باب: حد الزنا، (٣/ ١٣١٦)، رقم (١٦٩٠).

(٤) أخرجه: مسلم في كتاب الجهاد، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث، (٢/ ١٣٥٧)، رقم (١٧٣١).

وهكذا نرى أن كل عبادة، وكل عمل صالح يفتقر إلى الإخلاص في النية، والصواب في الاتباع، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه.

وإن من أعظم واجبات الحركات الإسلامية المجاهدة أن تربي أبناءها على لزوم الهدي النبوي الشريف، وتعظيم النصوص الشرعية، والوقوف عند حدودها، في حال السلم أو الحرب، ويتأكد ذلك في ذروة المعركة، فغاية مطلوب المجاهد في سبيل الله أن ينال رضا الله ـ تعالى ـ؛ ورضاه إنما يتحقق بتجريد المتابعة لنبيه ﷺ: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وما أجمل قول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه»(١).

وتحقيق الاتباع يتطلب الحرص على نشر العلم الشرعي في صفوف المرابطين في سبيل الله، وخاصة الأحكام الفقهية المتعلقة بالجهاد، فالعلم الصحيح ممَّا يعين ـ بإذن الله ـ على استقامة العمل، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٤ ـ أهداف الجهاد الشرعي:

لا بد من تذكر هذه الأهداف، واستصحابها، وتجديد النية بها كلما

---

(١) الفوائد، ص ٦٧.

بليت في الصدور، أو تناستها النفوس في زحمة الأحداث، وهي:

أ ـ إعلاء كلمة الله وحفظ الدين:

أعظم أهداف الجهاد في الإسلام حفظ الدين؛ حتىٰ تبقىٰ حجة الله قائمة علىٰ العالمين، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [**الأنفال**: ٣٩]، والفتنة هنا هي الشرك والكفر، قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: «﴿**حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾: حتىٰ لا يكون شرك، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو الفتنة. ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾؛ أي: حتىٰ تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره»[(١)]، فشرعة الجهاد تقام في الأصل لأجل هذا، وتأتي الغايات الأخرىٰ تبعاً. فتحرير الأرض يكون لمنع فتنة الكفر والشرك عنها حتىٰ لا يعبد فيها غير الله، بل يكون الدين فيها لله، فلو بقيت أرض إسلامية بعد (استقلالها) و (تحريرها) واقعة تحت هيمنة الكفر ولو كان محلياً وطنياً، لَمَا غيَّر ذلك من أمر وجوب الجهاد شيئاً حتىٰ تتحرر تلك الأرض من سيطرة الكفار، وتستقل عن التبعية الاعتقادية والثقافية والسياسية لهم؛ ولهذا نقول: إن هدف إعلان الدولة ليس غرضاً في حد ذاته، ولكن لما سيكون عليه أمر هذه الدولة، ولما ستقوم علىٰ أساسه هذه الدولة، فالأمر ليس مجرد إحلال سلطة

(١) تفسير ابن جرير، (٩ / ١٦٢).

محل سلطة، ولكن ما هو السلطان الذي ستقيمه هذه السلطة؛ أهو سلطان القرآن، أم سلطان الشيطان؟!

وتحرير الشعوب الإسلامية كذلك يكون لصد ضرر الكفر والشرك عن الناس؛ حتىٰ لا يفتنوا في دينهم، فمهما بقي شعب من شعوب المسلمين سالماً آمناً معافىً في حياته الدنيوية وأموره المعيشية، لكن في ظل أرض مهدورة الاستقلال تحت حكم الكفار؛ فهو شعب مغلوب علىٰ أمره، مغصوب في حقه، ولا بد من تحريره، ليمكَّن من إقامة دينه كاملاً علىٰ أرضه، كما هو ممكَّن من إصلاح دنياه كاملة؛ فما جاء أصحاب الرسالات لأقوامهم إلا لأجل أن يُعبد الله وحده في أرضه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومثل هذا يقال في تحرير المقدسات، فهو تحرير لها حتىٰ لا تقع تحت طائلة الكفار وسيطرتهم فيدنسوها بإقامة العبادات الكفرية والشركية فيها، فالمقدسات ليست مجرد أبنية تراثية من أحجار يحتفظ بها كآثار، بل لا بد لها من إعمار، وإعمارها في الأصل هو أن يُعبد الله ـ تعالىٰ ـ وحده فيها: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

إن هذه الغايات المتوخاة من وراء الجهاد؛ هي عامة في كل أرض وكل شعب وكل مقدسات، والكفر الذي يهددها أياً كان غير مقبول، بل هو محل جهاد المجاهدين واحتساب المحتسبين سواء كان ذلك الكفر يهودياً أو نصرانياً، شرقياً أو غربياً أو حتى عربياً. وتظل غاية الجهاد واحدة في جوهرها: ألا تكون فتنة وأن يكون الدين ـ كل الدين ـ لله رب العالمين. أما أن يبذل المسلمون أرواحهم ويريقوا دماءهم؛ ليخضعوا بعد (الاستقلال) لطوائف الضلال الذين يريدونها فتنة، وأن يكون الدين فيها أو الحكم فيها لغير الله، فهذا هو الخسران الكبير؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، والجهاد أو القتال الذي تكون ثمرته دولة غير إسلامية في حكمها وتشريعها وعلاقاتها؛ عصيان لله وتغرير بالأمة وخداع للشعوب، وهدر للطاقات البشرية والمالية في غير طائل، وهذا للأسف الشديد ما كان يحدث بانتظام في أكثر ما كان يسمى بـ (ثورات الاستقلال الوطني) في العالم الإسلامي؛ حيث تحولت أحوال كثير من البلدان ـ بعد الاستقلال ـ إلى أسوأ مما كانت عليه أثناء الاستعمار، وما ذلك إلا لأن القائمين على أمر جهاد الشعوب فيها كانوا ممن لا يعنيهم في جهادها ألا تكون فتنة أو أن يكون الدين كله لله.

ب ـ حفظ أنفس المسلمين ودمائهم وأعراضهم:

فحرمة المسلم في نفسه وماله ودمه وعرضه، كحرمته في دينه وعقيدته، ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

ج ـ كسر شوكة الكفار ثأراً لله:

حتى لا يكون بأس الكفر فوق سلطان الإسلام، فالإسلام لا يسمح بأن تكون قوى الكفر عظيمة في العالم، فضلاً عن أن تكون هي القوة العظمى فيه؛ لأن في ذلك إضاعة للتوحيد الذي ما خلق الله الجن والإنس إلا لتحقيقه عن طريق عبادة الله وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومما يدل دلالة واضحة على هذه الغاية العظمى من غايات الجهاد الشرعي قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ [النساء: ٨٤]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، فما دام الكفر غير صاغر فالجهاد الشرعي واجب وقائم، لا لإلغاء ملل الكفر من قلوب الخلق، بل لإضعاف سلطان الكفار إلى حد الصَّغَار.

وتمكين ملة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من العرض على الناس عزيزة؛ من خلال كيان قوي للمؤمنين والمسلمين الذين اختارهم الله للشهادة على العالمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

د ـ حفظ كيان المؤمنين، وحفظ سلطان الإسلام:

فالجهاد مشروع لإبقاء الكيان الإسلامي ـ في حال وجوده ـ قوياً بل أقوى من كل الكيانات، فهذا الكيان سواء كان خلافة أم سلطنة أم مملكة، أم دولة، أم إمارة تحكم بما أنزل الله؛ إذا ظهر ما يتهدده من أي خطر داخلي أو خارجي؛ فعلى المسلمين أن يدفعوا عنه كل اعتداء؛ لأن الاعتداء والتهديد هنا يعني فتنة الأمة عن دينها، وعدم تمكينها من أداء رسالتها في البلاغ والشهادة على الناس، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

هـ ـ رفع الظلم الواقع على المسلمين من الكفار أو المشركين أو المنافقين:

وسواء أكان هذا الظلم واقعاً أم متوقعاً أم حتى سابق الوقوع، فالمظالم لا تسقط بالتقادم؛ فكل مسلم أُخرج من داره، أو حُرم من ماله

وعياله، فحقه محفوظ إلىٰ أن يُستعاد حقه أو يُثأر له بالقصاص العادل، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩ـ ٤٠].

إن حق الملايين الأربعة الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، والذين يطلق عليهم إعلامياً (اللاجئون)؛ لا تملك السلطة الفلسطينية، ولا كل سلطات الدول العربية والإسلامية أن تتنازل عنه لليهود، فهو حق محفوظ واجب علىٰ الأجيال أن تتناوب علىٰ حمل أمانته، حتىٰ يأتي الجيل الذي يستطيع أن يجاهد حق الجهاد لرفع هذه المظلمة التاريخية ومعها بقية المظالم؛ فهذا هدف بحد ذاته للجهاد في سبيل الله. ولو لم يكن هناك سبب لجهاد اليهود في فلسطين إلا هذا السبب؛ لكفىٰ في مشروعيته، بل في وجوبه وفرضية القتال؛ حيث نزل به الإذن من فوق سبع سماوات: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

و ـ تمكين الدعوة من المضي في طريقها:

دون أن يعرقل سيرها جبار، أو يحول بينها وبين الناس طاغية، فالواجب أن تزال العوائق من طريق الدعوة؛ حتىٰ يختار الناس لأنفسهم بكامل حريتهم العقيدة التي يريدون، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي

الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فكما لا إكراه على الإسلام، فلا إكراه على الكفر؛ بحجب الدعوة قسراً عن الوصول إلى أهدافها؛ فلو حدث ذلك الحجب والمنع لكان الحاجبون المانعون هدفاً وغرضاً لجهاد المجاهدين.

ز- الشهادة في سبيل الله:

ومن أهداف الجهاد الشرعي: طلب الجنة بنوال الشهادة في سبيل الله، قال- تعالى-: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال رسول الله ﷺ: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد؛ يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة»(١)، وميدان طلب الجنة فسيح، فساحته جهاد الدفع وجهاد الطلب، فمن تطلب أهدافاً جهادية مشروعة بغرض تأمين مستقبله الأخروي بنيل الشهادة؛ فتلك غاية سامية، يخدم بها المجاهد نفسه، ويخدم أمته ويخدم أغراض الجهاد. ومن توسل إلى ذلك بجهاد الدفاع فجهاده وشهادته جديرة بالقبول بإذن الله.

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد، باب: تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، (٦/ ٣٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الشهادة، (٣/ ١٤٩٨) رقم (١٨٧٧).

ح ـ قمع النفاق إذا استعلن وظهر :

قال الله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [التوبة : ٧٣] ، فجهاد المنافقين إذا أظهروا ما يبطنون من العداء للدين ، واجب بالسيف والسنان ، كما أنه واجب ـ إذا لم يظهروه ـ بالحجة واللسان . وتتنوع الحال في ذلك بحسب المصلحة ، وبحسب شكل النفاق الذي يبدو فيه المنافقون ، فالمنافقون دائماً محل للجهاد والجلاد ، لا للتوقير والتعظيم ، وقد قال النبي ﷺ : «لا تقولوا للمنافق سيدنا ؛ فإنه إن يَكُ سيدكم فقد أسخطتم ربكم»(١) .

هذه هي أبرز غايات الجهاد الشرعي وأهدافه ، وهي كما ترون ـ إخوة الإسلام ـ لا تمت بصلة إلىٰ ما دأب العلمانيون علىٰ إعلانه من أهداف لـ (الكفاح) و (النضال) و (الثورة) طيلة أكثر من نصف قرن . وإحياء ما اندرس من هذه الغايات من أعظم أبواب التجديد ، ومن أوجب واجبات الحركة الإسلامية في أرض الرباط ، نسأل الله ـ تعالىٰ ـ أن يعينهم علىٰ تحقيقها .

---

(١) أخرجه : أحمد في المسند ، (٣٨ / ٢٢) رقم (٢٢٩٣٩) واللفظ له ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب : لا يقـــول المملوك ربي وربتي ، (٤ / ٢٩٥) رقم (٤٩٧٧) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٧١) .